كتاب تثبيت الإمامة

للإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام

مُنتزع من مَجمُوع كُتبه ورسائِله

تقديم
شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام
مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي
أيده الله تعالى ونفع بعلومه

جمع وتحقيق
إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي

منشورات
مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية
اليمن - صعدة - ت (٥١١٨١٦)، ص.ب (٩١٠٦٤)

كتاب تثبيت الإمامة

بسم الله الرحمن الرحيم

[سند الكتاب]

قال الإمام الحسن بن بدر الدين في (أنوار اليقين) ما لفظه: قال الرواة: هذه الرسالة للإمام الرضي، والحسام المشرفي، أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى جميع النبيين والمرسلين.

حدثنا القاضي الأجل يحيى بن عطية، قال حدثنا الفقيه الأجل حَبْر المدارس وصدر المجالس حسام الدين زين الموحدين حميد بن أحمد أدام الله علوه، بعضه إجازة وبعضه سماعاً ، قال: حدثنا الفقيه الأجل العالم الزاهد العابد بهاء الدين علي بن أحمد بن الحسين بن مبارك الاكوع رضوان الله عليه، قال: حدثنا الشيخ الأجل العالم الفاضل الصالح أبو علي سعيد بن صالح السُّمانة الكوفي الزيدي أيده الله تعالى بمكة حرسها الله تعالى بظهور الحق وأهله، قال: حدثنا الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزيدي [قال: حدثنا الشيخ أبو علي الحسن بن علي] بن مُلاَعِب الأسدي المُفَسِّر ، قال: أخبرنا السيد الشريف تاج الدين أبو البركات عمر بن إبراهيم بن حمزة العلوي الحسني إجازة ، قال: أخبرنا السيد الشريف العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي رضي الله تعالى عنه، قال: أخبرنا أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن سعيد الرُّقي قراءة عليه سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، قال: حدثنا محمد بن علي بن خَلَف العَطَّار، قال: حدثنا محمد بن مروان القطان، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه،

عن السدي، أن أبا الحسين زيد بن علي قال:

[في بيان الحجة]

هذا قولُ مَنْ خاف مقام ربه واختار لنفسه ولدينه، وأطاع اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، واجتنب الشكَّ واعتزل الظنَّ، والدَّعَوَى، والأهواء، والشُّبُهَات، والراي، والقياس، وأخذ عند ذلك بالحق من طاعة اللّه وطاعة رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم : بالحُجَّة البالغة، والثِّقَةِ واليقين، فاحتج بذلك على من خالفه بخلاف الحق، ويرى الواجبَ: ما جاء به الرسول صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، وأصحابه البدريين من كتاب الله وسنة نبيئه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وما اجتمعت عليه الأمة بعد الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، مِنْ كِتَابِ اللّه تعالى وسُنَّة نبيه صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، وتركنا ما قالت الأمَّةُ برأيها، فليس ما قالت الأمَّةُ برأيها فاختلفت فيه بثَقَة ولا يقين ولا حُجَّة[1]، لأن الرأي قد يخطئ ويصيب، وما كان[2] يخطئ مرة ويصيب مرة فليس بحجة ولا يقين ولا ثقة.

وذلك أن الأمة اجتمعت على أن النبي - صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه البدريين اجتمعوا يوم بدر، حيث شاورهم النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في أسرى أهل بدر، فاتفق رأيهم ورأي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أن يقبلوا الفداء من الأسارى، وكان ذلك الرأي من النبي صلى اللّه عليه وآله وأصحابه البدريين صواباً، وقد كان خطأً عند اللّه عز وجل، حتى نزّل على نبيه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٦٧)لَوْلَا

(١) ــ في نسخة أنوار اليقين: (فاختلفت فيه بلا فقه ولا يقين ولا حجة).

(٢) ــ في نسخة أنوار اليقين: فما كان.

كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٦٨)فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٧ ــ ٦٩].

فالذي[١] يخطئ مرة ويصيب مرة فليس ما يخطيء ويصيب بيقين ولا حجة ولا ثقة؛ ولكن الحجة عند اللّه الطاعة لله ولرسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، وما اجتمعت عليه الأمة بعد الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم[٢].

وقد بين اللّه تبارك وتعالى في كتابه فقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، والآخذون بما جاء به الرسول صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم من كتاب اللّه والسنّة، مطيعون لله وللرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، مستوجبون من اللّه تعالى الكرامة والرضوان، والتاركون لذلك عاصون لله ولرسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم مستوجبون من اللّه تعالى العذاب.

[اختلاف الأمة في تعيين الخليفة]

أما بعد..

فإنا قوم لم ندرك النبي صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، ولا أحداً من أصحابه الذين اختلفوا بينهم[٣] فنعلم كيف كان الخلاف بينهم، ونعلم أي الفريقين أولى بالحق والصدق؛ فنتابعهم ونتولاهم ونكون معهم، كما قال اللّه تعالى في كتابه:

---

(١) في أنوار اليقين: والذي.

(٢) في أنوار اليقين: ولكن الحجة علينا عند الله تعالى لله ولرسوله، وما أجمعت عليه الأمة بعد الرسول مما جاء به الرسول، وسنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) لا خلاف أن الإمام زيد (ع) أدرك بعض الصحابة كجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبا الطفيل عامر بن واثلة، وغيرهما، فمراده بهذا الكلام أنه لم يدرك أحداً من الصحابة الذين وقع بينهم اختلاف.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩]، ونعلم أي الفريقين أولى بالكذب والضلال، فَنَتَجَنَّبهم كما أمر الله تعالى، فهذا غائب عنا ـــ يعني أمرهم ـــ وكنا كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، حتى إذا أدركنا العقل طلبنا معرفة الدين من أهل الحق والصدق(١)، فوجدنا الناس مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض، وقد يجمعهم في حال اختلافهم فريقان.

فريق قالوا: إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مضى و لم يَسْتَخْلِفْ أحداً بعينه، وإنه جعل ذلك إلينا معاشر المسلمين، نَختَارُ لأنفسنا رجلاً فنستعمله علينا، فاخترنا أبا بكر.

وفرقة قالوا: إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم استخلف علياً فجعله خليفة وإماماً نَستَبِينُ به بَعدَهُ. فصارت كل فرقة منهم مُدَّعِيَةً تدعي الحق.

فلما رأينا ذلك أوقفنا الفريقين جميعاً، حتى نستبين ذلك، ونعرف المُحِقَّ من المبطل.

ثم سألنا الفريقين جميعاً: كيف كان النبي صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم يقضي بين الخصمين والفريقين إذا اجتمعوا إليه؟

فاجتمع الفريقان جميعاً على أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يكن يقضي بين الفريقين إذا اجتمعوا إلاَّ بِالبَيِّنَةِ العُدُول من غير أهل الدعوى، ممن لا يَجُرُّ إلى نفسه.

فَقَبِلْنَا منهم حين اجتمعوا عليه، وشهدنا أنه الحق، وأن من خالف حكم النبي

(١) ـــ في أنوار اليقين: طلبنا معرفة الدين وأهله من الحق والصدق.

صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم فقد جَارَ وَظَلَم.

[دعوى كل فريق على صحة قوله]

ثم سألنا الذين زعموا أن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم استخلف علي بن أبي طالب ــ صلوات اللّه عليه وسلامه ــ ومضى: هل لكم بينة عُدُولٌ من غيركم على ما ادّعيتم فنصدقكم ونقضي لكم؟

قالوا: لا نجد بينةً عدولاً من غيرنا.

ثم سألنا الذين زعموا أن النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم مضى و لم يستخلف أحداً ــ أو أنه جعل ذلك إليهم ليختاروا لأنفسهم، فاختاروا أبا بكر ــ: هل[1] لكم بَيِّنة عُدُولٌ من غيركم فَنُصَدِّقَكُم ونقضي لكم؟

قالوا: لا نجد بينة عدولاً من غيرنا.

فَلَمَّا لم يجد الفريقان البينةَ العدول من غيرهم على ما ادعوا أوقفناهم حتى نعلم المُحِقَّ من المُبْطِل.

[احتياج الناس إلى والٍ]

ثم سألنا الفريقين جميعاً هل للناس بُدّ من والٍ يصلي بهم، ويقيم أعيادهم، ويَجْبِي زكاتهم، ويعطيها فقراءهم، ويأخذ غنائمهم[2] ويقسمها، ويقضي بينهم، ويأخذ لضعيفهم من قويهم، ويقيم حدودهم؟

فاجتمع الفريقان على أنه لابد من والٍ يقوم فيهم بالحق، ويعمل فيهم بالسُّنن. فقبلنا منهم، وشهدنا أنه الحق، وأنه لابد للناس من والٍ يقوم فيهم بالحق، ويعمل

(١) ــ في أنوار اليقين: فهل.

(٢) ــ سقط من أنوار اليقين: ويأخذ غنائمهم.

فيهم بالسُّنن.

ثم سألنا الفريقين هل للناس أن يتبرعوا[١] بتولية رجل يجعلونه إماماً وخليفة عليهم قَبْلَ أن ينظروا في كتاب اللّه عز وجل والسُّنّة؟ فإن وجدوا الكتاب والسنة يدلاّن على تولية رجل باسمه [وبفضله يولونه عليهم، لفضله عليهم في الكتاب والسنة.

فاجتمع الفريقان على أن ليس للأمة أن يَتَبَرَّعوا بولاية رجل يختارونه ويجعلونه عليهم والياً، يحكم بينهم، دون أن ينظروا في كتاب اللّه عز وجل والسُّنة، فإن وجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفضله ولّوه عليهم، وإن لم يجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفضله[٢]] كانت لهم الشورى بعد ذلك بما وافق الكتاب والسنة. فلما أجمعوا على ذلك قَبِلْنا منهم، وشهدنا أنه ليس للأمة أن يتبرعوا بتولية والٍ على أن يجعلوه الخليفة والإمام دون أن ينظروا في الكتاب والسنة.

ثم سألنا الفريقين عن الإسلام الذي أمر اللّه تعالى به خَلْقَه، ماهو؟

فاجتمعوا على أن الإسلام: شهادة أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم، والإقرار بما جاء به نبيهم صلى اللّه عليه وعلى أهل بيته وسلم، وصلاة الخَمْس، وصوم شهر رمضان، والحج إلى بيت اللّه الحرام من استطاع إليه سبيلاً، والعمل بهذا القرآن أن يحل حلاله، ويحرم حرامه والعمل بما فيه.

---

(١) – التبرع: الاختيار بدون سؤال.

(٢) – في أنوار اليقين: فإن وجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفعله ولّوه عليهم، وإن لم يجدوا الكتاب والسنة يدلان على رجل باسمه وفعله كانت لهم الشورى بعد ذلك، وما بين القوسين زيادة من نسخ أخرى.

فقبلنا منهم حيث اجتمعوا عليه، وشهدنا أنه الحق.

[خيرة الله من خلقه]

ثم سألنا الفريقين جميعاً: هل لِلّه خِيرةٌ مِنْ خَلْقِهِ اختارهم واصطفاهم؟

فاجتمع الفريقان على أن لِلّه تعالى خِيرةً من خلقه اختارهم واصطفاهم.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

فقالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨].

فقبلنا منهم حيث اجتمعوا على ذلك، وشهدنا بأن لِلّه تعالى خِيْرة من خَلْقَه.

ثم سألناهم: مَنْ خيرة اللّه سبحانه من خلقه؟

فقالوا: المتّقون.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

فقالوا: قول اللّه عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي قراءة ابن مسعود: ﴿إنّ خيركم عندَ الله أتقاكم﴾.

فقبلنا حيث اجتمعوا، وشهدنا أنه الحق، وأن خيرة اللّه من خلقه المتقون.

ثم سألنا الفريقين هل لله خيرة من المتقين؟

فقالوا: نعم.

فقلنا: من هم؟

فقالوا: المجاهدون في سبيل اللّه.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

فقالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا

عَظِيمًا(٩٥)دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:٩٥ــ٩٦].

فقيلنا منهم، وشهدنا أن خيرَةَ اللّه من المتقين المجاهدون في سبيل اللّه من المتقين.

ثم سألنا الفريقين: هل لله خيرة من المجاهدين في سبيل اللّه؟

قالوا: نعم.

فقلنا: من هم؟

فقالوا: السابقون ــ من المهاجرين ــ إلى الجهاد.

فقلنا: مابرهانكم عليه؟

فقالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

فقبلنا ذلك منهم، وشهدنا أن خيرة اللّه من المهاجرين المجاهدون السابقون إلى الجهاد.

ثم سألنا الفريقين: هل لله خيرة من السابقين إلى الجهاد؟

قالوا: نعم، أكثرهم عملاً في الجهاد، وأكثرهم ضرباً وطعناً وقتالاً في سبيل اللّه.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

قالوا: قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

فقبلنا منهم، وشهدنا أن خيرته من السابقين إلى الجهاد أكثرهم عملاً في الجهاد، وأبذلهم لمهجته لله، وأكثرهم قتالاً لعدوه.

[تفضيل علي ـ عليه السلام ـ على أبي بكر]

ثم سألنا الفريقين عن هذين الرجلين الذين اختلفت فيهما هذه الأمة ـــ علي بن أبي طالب، وأبي بكر بن أبي قحافة ـــ أيهما كان أكثر عملاً في الجهاد في سبيل الله، وأكثر ضرباً وطعناً وصبراً وقتالا، ومَنَعَةً، ويخاف منه من خالف الحق[1]؟

فاجتمع الفريقان على أن علي بن أبي طالب أكثرهم عملاً في الجهاد في سبيل الله.

فلما اجتمع على ذلك الفريقان قبلنا منهم، وشهدنا أن عَليَّ بن أبي طالب ـــ صلوات الله عليه ـــ خيرٌ من أبي بكر، بما دل عليه الكتاب والسنة ـــ فيما اجتمعوا عليه ـــ من فضله في كتاب الله الذي لا خلاف فيه.

فَدَلَّ ما أجمعت عليه الأمة على أن خيرة الله المتقون، وأن خيرة الله ـــ سبحانه وتعالى من المتقين المجاهدون في سبيل الله، وأن خيرة الله من المجاهدين السابقون إلى الجهاد، وأن خيرة الله من السابقين أكثرهم عملاً في الجهاد.

واجتمعت الأمة على أن خيرة الله من السابقين إلى الجهاد البدريون، وأن خيرة البدريين المجاهدين هذان الرجلان اللذان اختلفت فيهما الأمة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قحافة.

فلم يَزَل الفريقان يُصَدِّق بعضهم بعضاً ويدل بعضهم على بعض، حتى دلوا على خِيْرة هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما اجتمعت عليه الأمة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

[خير المتقين]

ثم سألنا الفريقين حيث اجتمعوا على أن خيرة الله هم المتقون ـــ فسألنا من هم؟

---

(١) – في النسخ: وخوفاً منه من خالف الحق في سبيل الله، ولعل ما أثبت هو الأصح.

فقالوا: هم الخاشئون.

فقلنا: ما برهانكم عليه؟

فقالوا: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ(٣١)هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(٣٢)مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[ق:٣١ ــ ٣٣]. وقوله: ﴿وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ(٤٨)الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٨ ــ ٤٩].

فقبلنا منهم، وشهدنا أن المتقين هم الخاشئون.

ثم سألنا الفريقين عن الخاشئين؟

فقالوا: العلماء.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

فقالوا: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

فقبلنا منهم، وشهدنا أن الخاشئين هم العلماء.

[من هو أعلم الناس؟]

ثم سألنا الفريقين عن أعلم الناس من هو؟

فقالوا: أعمل الناس بالعدل، وأهداهم إلى الحق وأحقهم أن يكون متبوعاً حاكماً ولا يكون تابعاً.

فقلنا: ما برهانكم عليه؟

فقالوا: قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، فجعل الحكومة لأهل العدل وأهل العلم.

[من هو أعمل الناس؟]

ثم سألنا الفريقين عن أعمل الناس بالعدل من هو؟

فقالوا: أدل الناس على العدل.

ثم سألنا عن أدل الناس على العدل من هو؟

قالوا: أهدى الناس إلى الحق، وأحق الناس أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً.

فقلنا: ما برهانكم عليه؟

قالوا: قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥](١).

فَدَلَّ ما اجمعت عليه الأمة من كتاب الله الذي لا اختلاف فيه على أن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه خير هذه الأمة، وأنه أتقى الأمة، وأنه إذا صار أتقى الأمة صار أخشاها، لأنه صار أعلم الأمة، وإذا صار أعلم الأمة، صار أدَلَّ الأمة على العدل، وإذا صار أدل الأمة على العدل، صار أهدى الأمة إلى الحق، وصار أحق الأمّة أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً، وأن يكون حاكماً ولا يكون محكوماً عليه، لأن الله تبارك وتعالى قال في كتابه: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].

هذا ما أجمعت عليه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أجمعت على أن نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مضى وخلف فينا كتاب الله تعالى الذي أُنزِل عليه، وأمرنا أن نعمل بما فيه، وبلّغنا عن النبي صلى الله عليه وعلى أهل بيته

---

(١) ــ روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١/٢٦٥ رقم (٣٦١) من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: اختصم قوم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمر بعض أصحابه فحكم بينهم فلم يرضوا به فأمر علياً فحكم بينهم فرضوا به. فقال لهم بعض المنافقين: حكم عليكم فلان فلم ترضوا به وحكم عليكم علياً فرضيتم بحكم القوم أنتم. فأنزل الله الآية المذكورة.

وسلم ذلك، فقال في الكتاب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، وقال: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

[الدليل على صحة ما تقدم من الكتاب]

واجتمعت الأمة على أنه لابد لهم من والٍ يجمعهم ويدبر أمورهم.

واجتمعت على أنه لا يحل لهم أن يعملوا عملاً، أو يقولوا: اقرأ علينا هذا القرآن ـــ فيمضوا لما يأمرهم به القرآن الذي يعرفه صغيرهم وكبيرهم ـــ حتى إذا بلغ:﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[القصص:٦٨]، فيقول: اثبتها[1] واعزلها.

فإنا نجد الله تبارك وتعالى خلق الخلق، فاختار خيرةً من الخلق ما ليس لنا أن نختار غيرهم.

ثم يقولون إقرأ حتى ننظر مَنْ خيرتُهُ من خلقه الذين اختارهم، فيقرأ حتى إذا بلغ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فيقولون: قد فَسَّرَتْ لنا هذه الآيةُ وقد دلَّتنا على أن خيرة الله من خلقه المتقون.

ثم يقولُ: اقرأ حتى نعلم مَنِ المتقون. فيقرأ حتى إذا بلغ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ(٣١)هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ(٣٢)مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣١ ـــ ٣٣]، فيقولون: قد دلت هذه الآية على أن المتقين هم الخاشئون.

ثم يقولون: اقرأ حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:

(١) ـــ اثبتها: أي اسقطها.

٢٨]، فيقولون: قد دلتنا هذه الآية على أن الخاشئين هم العلماء.

ثم قالوا: اقرأ حتى نعلم أي العلماء خيرٌ وأفضل أم غيرهم؟ فيقرأ، حتى إذا بلغ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩] فيقولون: قد دلّتنا هذه الآية على أن العلماء أفضل وخير من غيرهم.

ثم يقولون: اقرأ، حتى إذا بلغ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١] فيقولون: قد فَسَّرَتْ لنا هذه الآية ودلّتنا على أن الله تبارك وتعالى قد اختار أهل العلم وفضلهم ورفعهم فوق الذين آمنوا درجات.

[أعلم أصحاب رسول الله (ص)]

وأجمعت الأمة على أن الفقهاء العلماء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - الذين كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأخذون عنهم أبواب صلواتهم، وزكواتهم، وطلاقهم، وسننهم، وفرائضهم، ومشاعرهم - فقالوا: علي بن أبي طالب(١)، وعبدالله بن العباس(٢)، وعبدالله بن مسعود (٣)

(١) ـ علي بن أبي طالب ـ عبد مناف ـ بن عبدالمطلب بن هاشم، ولد ـ عليه السلام ـ قبل البعثة بثلاث عشرة عاماً على أصح الأقوال في السابع من شهر أيلول ـ في الثالث عشر من شهر رجب.

ولدت به أمه في جوف الكعبة، أخذه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورباه في حجره، فلما بعث ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان أول من آمن به وصدقه وصلى معه إذ بعث رسول الله يوم الاثنين وصلى علي ـ عليه السلام ـ يوم الثلاثاء بعد خديجة ـ عليها السلام ـ وشهد جميع غزوات رسول الله وكان حامل رايته فيها جميعها إلا في غزوة تبوك فإنه خلفه رسول الله على المدينة وقال له: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)). ٧٠ في شرح: العلماء

وزيد بن ثابت الأنصاري[١]، وقالت طائفة: وعمر بن الخطاب[٢].

وهو زوج ابنة المصطفى فاطمة الزهراء، وأبو سبطي رسول الله الحسن والحسين ــ عليهم السلام، وكان أعلم الصحابة وأقضاهم، قال ابن عباس: لقد أوتي علي تسعة أعشار العلم، وشاركهم في العاشر، وهو أفضل الصحابة لا يوازى فضله أحد، وهو أشجعهم ما برز له فارس إلا قتله، وهو صاحب المقامات المشهورة في قتل الأبطال في بدر وحنين والخندق وأحد وغيرها.

وهو وصي رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام بعده، وخليفته على أمته، والقائم بأمر الله، أخذت عليه ولايته ظلماً، وصرفت عنه حقداً وبغياً، حتى علمت الأمة أن حاجتها إليه، وأنه لا يصلح أمرها إلا به فاجتمع إليه المسلمون وبايعوه طائعين في ١٨ من ذي الحجة سنة (٣٥هـ) وجاهد الناكثين طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم سنة (٣٦هـ) في معركة الجمل، والقاسطين معاوية وعمرو بن العاص وأتباعهم سنة (٣٧هـ) في معركة صفين، والمارقين وهم الخوارج في النهروان، ثم أقام بالكوفة إلى أن ضربه أشقى الأولين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم في (١٩) من شهر رمضان، واستهشد ــ عليه السلام ــ (٢١) من شهر رمضان سنة (٤٠هـ).

(٢) ــ عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، ابن عم رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاثة أعوام، ودعا له رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقال: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل))، من أصاغر الصحابة وأعلمهم وأفقههم، وكان يلقب بالبحر لسعة علمه، ويقال له: حبر الأمة، وكان أحد شيعة أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ شهد معه معاركه (الجمل ــ وصفين ــ والنهروان) وتوفي بالطائف سنة (٦٨هـ)، (انظر لوامع الأنوار الجزء الثالث، ففيه ترجمة موسعة مفيدة).

(٣) ــ عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الأنصاري الهذلي حليف بني زهرة، أسلم قديماً قبل إسلام عمر بن الخطاب، قيل كان سادس من أسلم، كان من علماء الصحابة وقرائهم، شهد بدراً وما بعدها، كان من المفضلين لعلي ــ عليه السلام ــ ومن محبيه وشيعته، قال: (قرأت القرآن على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأممته على خير الخلق بعده، علي بن أبي طالب) ضربه عثمان في ولايته لما دفن أبو ذر الغفاري بالربذة، وتوفي بالمدينة سنة (٣٢هـ)، وأوصى إلى عمار أن يصلي عليه ويدفنه ليلا، وكان عمره بضع وستون سنة.

(١) ــ زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة، استصغره النبي ــ صلى الله عليه

فسألنا الأمة: من أولى الفقهاء العلماء بالتقدم بالصلوة إذا حضروا، فاجتمعوا على أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: ((يؤمكم أقرؤكم لكتاب اللّـــه عـــز وجل))، فاجتمعوا على أن الأربعة أولى بالتقدم من عمر.

ثم سألنا الأمة: أي الأربعة كان أقرأ لكتاب اللّه وأفقههم في دين اللّه؟

فاختلفوا فيهم، فأوقفناهم حتى نعلم.

ثم سألنا الأمة: أي الأمة أولى بالإمامة؟

فاجتمعت الأمة على أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قـــال: ((الأئمـــة مـــن قريش)).

فسقط اثنان من الأربعة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت الأنصاري، إذ هما لم يصلحا للإمامة؛ لأنهما ليسا من قريش، وبقي علي بن أبي طالب صلوات اللّـــه عليه، وعبد الله بن عباس مسلمين فقيهين عالمين قرشيين.

فسألنا الأمة: إذا كانا عالمين فقيهين قرشيين أيهما أولى بالإمامة؟

فاجتمعت الأمة على: أن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: ((إذا كان فقيهين عالمين فأكبرهما وأقدمهما في الهجرة))(١)، فسقط عبد الله بن عباس، وحَصَل علـــي

وآله وسلم ــ يوم بدر فرده، وشهد ما بعدها، و لم يشهد شيئاً من حروب علي ــ عليه السلام، قال ابن عبد البر: وكان مع ذلك يفضلّ علياً ويظهر حبه، توفي بالمدينة سنة(٤٥هـــ)، وكان مـــن أهـــل القضاء والفتوى.

(٢) ــ عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشي، أبو حفص، أسلم بعد خروج مهاجرة الحبشة على يـــدي أخته فاطمة، قال: (لولا علي لهلك عمر) وقال: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن) تـــوفي (٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣ هـــ) وعمره (٦٣سنة).

(١) ــ عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري قال قال رسول اللّه (ص): يؤم القوم أقراهم لكتاب اللّه، فإن كـــانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجـــرة، فـــإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سناً.

بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، وصار أحق الناس بالإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا ما اجمعت عليه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم اجتمعوا على أن لله خيره من خلقه اختارهم واصطفاهم، وجعلهم أدلاء على الفرائض والحكم على خلقه.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

قالوا: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٣)ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٣٣،٣٤].

فاجتمعوا على أن الأمة المسلمة خلقها الله من ذرية إسماعيل بن إبراهيم خاصة، وأنهم آل إبراهيم خاصة المصطفين الذين اختارهم الله واصطفاهم على العالمين.

فقلنا: هاتوا برهانكم عليه؟

قالوا: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(١٢٧)رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ

أخرجه مسلم في المساجد باب من أحق بالإمامة (٤٦٥/١) رقم (٦٧٣/٢٩٠)، وأبو داود في كتاب الصلاة (١٥٦/١) رقم (٥٨٤)، والنسائي ٧٦/٢، والترمذي في كتاب الصلاة (٤٥٨/١) رقم(٢٣٥ و٢٧٧٢)، وابن ماجة رقم (٩٨٠)، وابن خزيمة رقم (١٥٠٧)، واحمد في المستدرك (٣٢١/٥) رقم (٢٢٤٠٣)، والطبراني في الكبير ٦٠٩/١٧ ــ ٦١٢، وابن حبان رقم (٢١٢٧ و٢١٣٣ و٢١٤٤)، والطبراني في الأوسط (١٨٩/٣) برقم (٤٢٨٢) والحاكم ٢٤٣/١، والدار قطني ٢٨٠/١، وأبو عوانة ٣٥/٢، والبيهقي في السنن ٩٠/٣ ــ ٩١، وأبو داود الطيالسي رقم (٦١٨)، والطحاوي في معاني الآثار ٣٩٦/١، وعبدالرزاق رقم (٣٨٠٨)، والحميدي رقم (٤٥٧)، وابن الجارود رقم (٣٠٨).

ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ــ ١٢٩].

فقبلنا منهم، وشهدنا أن الأمة المسلمة خلقها الله تبارك وتعالى من ذرية إسماعيل خاصة وأنهم آل إبراهيم الذين اصطفاهم الله على العالمين، وأنهم أهل البيت الذين رفع الله منهم الأئمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل، وبعث فيهم الرسول.

فصار النبي ــ الذي بعث الله عز وجل ــ محمداً عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وصار أولئك ذرية إبراهيم حقاً يقيناً، لأن الأمة اجتمعت على أن إبراهيم المصطفى، وذرية إبراهيم الذين على دين إبراهيم.

واجتمعت الأمة على: أن بني هاشم هم الذين استجابوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصدقوه، فتلى عليهم آياته كما تلى عليهم الكتاب والحكمة وزكاهم.

واجتمعت الأمة على: أنهم فيها أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً، فجعل الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شهيداً بما أنزل عليهم من تلاوة الكتاب وتعليمه إياهم الكتاب، وكما قال إبراهيم وإسماعيل: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ولم يقولا: اجعل الأمة مسلمة من ذريتنا ومن غير ذريتنا، ولكنهما أفردا الأمة المسلمة، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ خاصة، ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، ولم يقولا: وابعث من غيرهم رسولاً، ولكنهما قالا: ومن ذريتنا، وابعث فيهم رسولا منهم، فصار الرسول من أنفسهم شهيداً عليهم بما انتهى إليهم من الكتاب، وصاروا شهداء على الناس بما يكون على الناس من علم الكتاب والحكمة.

وقال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٧٧)وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧ ــ ٧٨].

وهذا ما اجتمع عليه كل بارٍ وفاجرٍ، وكل مؤمنٍ وكافرٍ. اجتمعوا على أن الميت إذا مات فأهل بيته أولى بميراثه.

واجتمعت الأمة على: أن اللّه تبارك وتعالى بعث محمداً صلى اللّه عليه وآله وسلم بالنبوة، فأقام في قومه عشر سنين كما حكم اللّه عليه، وجادلهم بالتي هي أحسن، فسموه: مجنوناً، وكذاباً، وكاهناً، وساحراً، فأقام مع المشركين وهم في شركهم حتى انقضت الأيام والسنون، ثم أمره اللّه عز وجل أن ينصر هجرته وأن يشهر سيفه، وأن يصير إلى حيث يقاتل من خالفه في طاعته، حتى يدخل في طاعته، وأن يقيم الحدود، وأن يأخذ للضعيف من الشديد، فلم يزل ناصراً هجرته، وشاهراً سيفه، يقاتل من خالفه، ويقيم الحدود حتى لحق باللّه عز وجل.

واجتمعت الأمة على: أن النبوة لا تورث، فقبلنا منهم وشهدنا أن النبوة لا تورث.

وسألنا الأمة: إنفاذُ الذي جاء من عند الله بالسنن، وإقامة الحدود، ويدفع إلى كل ذي حق حقه نبوةٌ؟ فكان من عمل بها فهو نبي؟ فقالوا: لا، ولكن النبوة: الإخبار عن اللّه والسبيل بالكتاب والسنة.

فهذا بيان لمن تفكر فيه و لم يعطف الحق إلى هواه، ورضي بالحياة الدنيا واطمأن إليها. والسلام.

انتهى والحمد لله على كل حال وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين أمين.

[تم بحمد الله تعالى كتاب تثبيت الإمامة]

كتاب تثبيت الوصية

بسم الله الرحمن الرحيم

[سند الكتاب]

[قال العلامة الشهيد حُميد بن أحمد المحلي]: أخبرنا الشريف أبو علي محمد بن المهدي بن معد بن حمزة العلوي الحسني قراءة عليه، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن محمد بن عيرة الحارثي الكوفي، قال: أخبرنا الشريف أبو الطاهر الحسن بن علي بن مَعِيَّة العلوي الحسني، قال: أخبرنا السيد الشريف العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن العلوي الحسني إجازة، قال: أخبرنا أبو الحسن ابن النَّجّار، ومحمد الأسدي، وعبد الله بن مجالد البجلي قراءة عليهم، قالوا: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ إجازة، قال: أخبرنا جعفر بن عبد الله المحمّدي، قال: حدثنا الحسن بن الحسين، قال:حدثنا خالد بن مختار الثُّمالي، قال:

[إثبات وصية النبي(ص)]

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي عليه السَّلام:

سلوا النَّاس: هل أوصى رسول اللّه وصلى اللّه عليه وآله وسلم، أو لم يوص؟

فإن قالوا: لم يوص، أو لاندري أوصى أو لم يوص.

فقولوا: إنَّ في القرآن دليلاً على أنه قد أوصى، يقول اللّه تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]. وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ